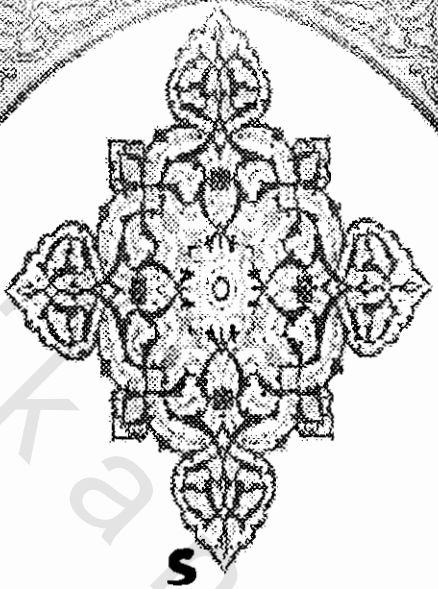

سورة الأحزاب

obeikandl.com

﴿ سورة الأحزاب ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾

عتاب ظريف، من رب لطيف، لنبى حنيف، عن الهفوات منزه عفيف، فحاشاه ﷻ أن لا يتقى ربه، وهو المنزه عن الهفوات والنقائص والخطرات المذمومة، كيف وهو روح الوجود وممده، وجامعه ومبدد.

واعلم أن أى عتاب ورد فى حقه ﷺ فى القرآن فله بطانة باطنية لا يحملها ظاهر العتاب بل هى أعلى مما أمر به فى ظاهر العتاب فافهم.

وهو أمر فهمه فى غاية الصعوبة، إلا لمن علا ذوقه، وطابت معرفته، وتحقق بعلو قدره ﷻ.

أقول: وهذا راجع لعلو المقاصد المحمدية، وتعاليها عن أن يفهمها من هم أمثالنا من المقصرين المذنبين، فإن مقاصد الأنبياء الباطنية فى معرفة الصفات لا يرقى إليها إلا رجل منهم، ويقصر عن معرفة عين الصفة ــ أقصد تذوقها بالذوق الذى تذوقوه بها ــ أعلى أولياء الأمة منزلة، فإن مشارب الأنبياء هى لهم فقط، ولا يصح لولى أن يلج فى العين التى ولجوا هم فيها فافهم، ولذلك لما عاتب الحق سبحانه النبى ﷺ فقال:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾

فإنه عليه السلام ما عبس العبوس الذى نعرفه نحن، وإنما هو عبوس المعرفة، لكونه عليه السلام رأى نقص هذا العبد فى المعرفة

فعبس لتأخره، وأراد ترقيته لما هو أعلى من حاله الذى عليه، وذلك لكونه ﷺ يريد لأصحابه الأفضل فى المعرفة فافهم .

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ ﴾

اعلم أن شرط الوصول هو الاتباع، فالحق أمر نبيه ﷺ باتباعه، ثم أمرنا نحن باتباعه ﷺ، فقال سبحانه على لسانه الشريف ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

ثم أمرنا سبحانه باتباع الشيخ الواصل الكامل، المتلقى عن حضرة النبى الأكرم ﷺ، هذا فى حال فقده ﷺ، فلا يلبث أن يدخل بك هذا الوارث عليه ﷺ ويعرفك قدره ،وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ ويقصد به الوحى المطلق، الذى لمح عنه الشيخ الأكبر فى كتبه، أقصد وحى الرسالة وغيره من وحى الأولياء المعروف عند أهل المعرفة، فالأوامر الإلهية عندنا كلها وحى سواء لنبى أو الولى، هذا لمن أفهمه الله وجعله من أهل الفهم الباطن.

فالأوامر الملقاة من قبل الشيخ فى حق المريد يجب أن يأتمر بها كالوحى، وإن رتبته أقل من وحى الرسالة، إلا أنه فى الأوامر واجب التنفيذ لا غير فافهم، وقد يكون فى تركه عقوبة لتاركه.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ۝٤ ﴾

أمر من الحضرة الإلهية بذبح التردد فى قلب السالك، حتى تكون وجهته واحدة، ونيته واحدة، ولا يتردد بين أمرين، فإنه خطر عظيم، ومرض جسيم، يعطل السالك فى الترقي.

واسمه عند العارفين توحيد الوجهة ،قال الحق سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ وهو توحيد الوجهة .

وكذلك نهى الأولياء أن يتردد المريد بين شيخين، فإن ترك الأول وذهب للثانى لم يستفد بالثانى وإن رجع للأول رفضه، فهنا بسبب التردد خسر الكل .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾

لسعة دائرته ﷺ فى المعرفة، فهو يعلم ما يصلحهم وما يفسدهم، فكانت ولايته ﷺ الباطنية فرض عين على كل متبع له، فيجب أن يلقى نفسه بين يديه كالغاسل بين يدى الميت، فلا يعوقه شئ من التحصل على قدر كبير من الدخول فى تلك الولاية المحمدية، والناس فى هذه الولاية لهم أقدار متفاوتة فى الدخول عليه ﷺ، فأبو بكر ﷺ دخل عليه ﷺ بكل ماله وحمله بين يديه ولم يترك من حظ النفس شيئا يذكر، وعمر الفاروق ﷺ جاء بنصف ماله بين يديه، فكان الفرق بينهما فى تلك الولاية كالفرق بين ما قدماه فافهم، ومعنى الولاية المحمدية فينا حلوله ﷺ فينا محل النفس، فهو أولى بنا من أن نترك النفس تقودنا وتتحكم فينا، فنكون عبيداً لأهوائنا وشهواتنا، فمتى دخلنا فى هذه الرؤية سقط عنا الهوى وسلمنا، لدخولنا فى ولايته ﷺ، والتى تسقط فيها غواية النفس، وهذه رؤية الخواص فقط لتلك الولاية، وغيرهم لا يدخل ولا ينبغى له الدخول .

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾

هل تحققوا به أم لا، وكيف تحققوا به، وكلٌ ودرجته فى ذلك التحقق.

إذ الصدق أهم من الإخلاص وأعلى، فلا إخلاص بدون صدق، إذ هو من الصفات الإبتدائية والأساسية فى المريد، فلا يزال يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً،كما أخبر أبو القاسم ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴾

ورآها العارفون منكم، المشاهدون لما وراء الحجب، وقد صح فى الحديث الشريف عند البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: رأيت عن يمين النبى ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبرائيل وميكائيل.

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يوم بدر يشدُ فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه خرمستليقا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدث رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة.

فهؤلاء هم العارفون من الصحابة، الذين لهم كشف ومشاهدة ، ورأوا تلك الجنود الإلهية التى لم يراها غيرهم .

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾

وهذه الآية لا يخاطب بها أهل اليقين كالنبى ﷺ وأبى بكر ﷺ وأمثالهم، بل الخطاب فى حق من هم من غير أهل اليقين، فالصحابة لا يتساوون فى مقام اليقين والثبات.

ولذلك قال الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ ((**لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**))

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

لكى تظهر معادن الرجال وكى يميز الله الخبيث من الطيب، ولا يتم ذلك إلا بالغربلة والنخل .وهذه الصفة يتحقق بها الفرد الجامع بالنيابة عن الله عز وجل فيعرف أقدار الرجال، وله أن ينخلهم ويغربلهم ويتحكم فيهم ويحكم عليهم وفى هذا يقول سيدى على وفا ﷺ:

ألم تعلم بأنى صيرفى أحك الأولياء على محكى
فمنهم بهرج لا خير فيه ومنهم من أجوزه بسبكى

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾

فى التحقق بصفاته وأخلاقه الظاهرة والباطنة، أما من ادعى أن مجرد التخلق بأخلاقه الظاهرة فقط سيوصله إلى تلك الأسوة الحسنة فقد تبوأ مقعده من النار، وهذا ما وقع فيه بعض العصريين من التحقق بسيماه الظاهرة ﷺ، من نحو الاكتحال ولبس العمامة ولبس القصير من الثياب والتطيب والإمساك بالعصا، ويتركون حظ التخلق بالحظ الباطن منه ﷺ ، وهؤلاء أخفقوا أيما إخفاق، وابتعدوا عن مجلسه المشار إليه يوم القيامة أيما بعد، يقول عليه السلام: ((**أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**))

أى فى التحقق بأخلاقى الظاهرة والباطنة.

واعلم أن صفة الظهور والبطون من لوازم الألوهية، وأراد سبحانه وتعالى لهذا العبد الكامل التخلق بالظهور والبطون مثله، وأن يتسمى

بهذين الوصفين كما تسمى بهما الحق سبحانه فقال عن نفسه بأنه الظاهر والباطن .

أما من ادعى أن الشريعة ظاهر فقط، بدون باطن فهو زنديق كذاب، لا علم له بالصفات الإلهية ولا اطلاع له على المعرفة به سبحانه .

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴿٢٢﴾ ﴾

فى تجسيد ذلك الغيب، الذى أخبرت به الذات المحمدية وتحويله إلى واقع حقيقى أمامنا نراه بأعيننا .

﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

أى أن هذا التجسد الذى كان غيباً، وتحول إلى حقيقة لا تستطيع العين أن تنكرها، لم يكن ليزيدهم إلا إيماناً وتسليماً لما رأوه من صدق تلك العين المحمدية المخبرة عن حقيقة هذا المشهد المتجسد .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ ﴿٢٣﴾ ﴾

موجودون فى كل عصر وزمان، ولا يخلو منهم وقت الواحد منهم يعدل أمة بأكملها .

والواحد منهم يعدل ألف رجل .

والواحد منهم لم ير مثل نفسه .

﴿ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴿٢٣﴾ ﴾

ومنهم من ينتظر إلى يوم القيامة، فالآية دالة على وجودهم ـــ أى هؤلاء الرجال ـ إلى يوم القيامة، وهو قوله ﷺ: ((**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة**)).

﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾

واحداً، فلا تلمسهم أسوار التغيير، ولا تلحقهم علة التبديل، قد صنعوا على عينه، فتولتهم يد القدرة .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ ﴾

فالأمر الإلهى واجب التنفيذ، لصدوره من حضرة الإطلاق .

وواجب على المتبع أن لا يراجع الأمر، بل يكون مستلقياً كالميت بين يدى، الغاسل ومن راجع الأمر لم يكن حظه سوى الاعتراض، والمعترض لا مقام له مع المستسلم لأحكام الألوهية فافهم.

وخير دليل فى هذه القضية حكاية إسماعيل مع إبراهيم عليهما السلام، لما رأى فى المنام أنه يذبحه، فقال له: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ فهؤلاء هم الأقطاب المستسلمون للأوامر الإلهية المنفذون لأحكام الله فيهم .

﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

من الاطلاع المسبق على موعد ظهور هذه القضية فى عالم الشهادة، فإنه ﷺ اطلع على هذه القضية قبل ظهورها، ولما كان الأنبياء أكثر الناس أدباً مع الله عز وجل، فإنهم يخفون اطلاعهم المسبق على الحوادث لحين إظهار الله لها فى عالم الشهادة، وهذا من

عناصر أدب الأكابر مع الحق سبحانه وتعالى، ولهم إخفاء أكبر للحوادث العظمى، كإخفائه ﷺ لسر الروح، وعدم البوح به أمام الأمة ما خلا الخواص الذين لهم اطلاع مثله ﷺ، لنوالهم حظاً من إراثته ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾

مطلقا بلا عدد وغير محدد، وهو معنى قوله ﷺ: ((**اذكر الله حتى يقال إنك مجنون**)).

أقول وفيه دليل للصوفية وردّ على الوهابية، الذين ينكرون إطلاق العدد في الذكر .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾

يصلى عليكم أى يذكركم فى نفسه وفى الملأ الأعلى، وكذلك الملائكة يذكرونكم اقتداءً بالحق سبحانه وتعالى، وهذا الذكر موجب لإخراجكم من الظلمات لتتحروا وتتبصروا عالم النور، فهو الذى يزج بكم فيه، وليس المهم ذكركم له، فهو الذى ابتدأ بالذكر لكم منذ ألست بربكم فى عالم البدء الأول، فهو الذى بادأكم بالذكر لا أنتم الذين بادأتموه، فلا فضل لكم فى ذكركم له، لكونه هو الذى ابتدأ منذ ألست بربكم، وكفانا فى ذلك دليلاً الحديث الوارد عنه ﷺ أنه قال ((**ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ... الخ الحديث**))، وذكر أن الحق تعالى يتحف هؤلاء بأنه يذكرهم فيمن عنده، فمن بربك هذا العبد الطينى الفانى حتى يذكره الله فيمن عنده من الملأ الأعلى ؟.

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

وذلك لأنه لا ينبغى لعين ولجها النبى ﷺ أن يلجها غيره، سواء فى النكاح أو فى الذوق العرفانى، فإنه لو اقترب أعظم ولى من العين التى يستمد منها النبى لاحترق، ولذلك إذا قطع العارف النائب عن الله مقامات الوصول قيل له: قف هذه قدم نبيك، قال الشيخ الأكبر ابن عربى فى الفتوحات: قال محمد بن قائد: سبقت الكل وأتيت فرأيت قدما أمامى، فأخذتنى الغيرة لما علمت من أننى تركت الكل ورائى فقيل لى: قف هذه قدم نبيك، فهدأ روعى. أقول والآية فيها إعلام للعارفين بأنهم لا ينبغى لهم أن يتذوقوا من حياض معارفه ﷺ ، فقيل لهم: ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ ﴾ وأزواجه ﷺ هى الحقائق والمعارف والمذاقات المحمدية، والنكاح هو الذوق المطلق، ولذلك لما رأى ابن عربى فى بدايته أنه ينكح النجوم وقص الرؤيا على أحد المعبرين، أخبره بأنه سيطلع على معارف لم يطلع عليها أحد قبله، فالنكاح هو الفتح المطلق لأهل العرفان، فلا ينبغى لعارف أن ينكح المعارف التى نكحها الأنبياء ويتذوقها. فمعنى قوله سبحانه: ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ ﴾ أى لن تشموا ذرة ولا تتذوقوا قطرة من معارفه ﷺ ومذاقاته، وإنما عبر الحق عن الذوق بالنكاح، لكون النكاح هو أرقى الأحاسيس التى أعطاها الحق سبحانه للبشر، فلا توجد لذة أعلى من لذة الجماع، والعارف عندما يتذوق تلك المعارف يدخل فى لذة تفوق لذة الجماع،

قد حرم من تلك اللذة كل البشر سوى أهل المعرفة، ولذلك قال سيدى إبراهيم الدسوقي ﷺ: نحن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف، لكون أهل الحجاب لا اطلاع لهم على لذة المعرفة، التى تغنى بها أهل الخرقة لما تذوقوها وسكروا منها.

وفى ذلك يقول شاعر القوم عن تلك النشوة العرفانية والتى ينكح بها العارف الحقائق الإلهية:

لى سُكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدى

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

أى أن الملأ الأعلى فى ذكر دائم له ﷺ، وكذلك الألسنة الأرضية لا تفتر عن الصلاة عليه ﷺ فى كل لحظة فى مشارق الأرض ومغاربها، فإنه ﷺ هو العلة المسببة لإزاحة الظلام الأرض وإحلال النور فى الأعيان، فأهل الإيمان فى ذكر دائم للحق سبحانه بسبب هداية النبى ﷺ لهم، فكانت مكافأة الحق لحبيبه المصطفى ﷺ أن ذكره هو وملائكته ذكراً دائماً مقابل هدايته للأعيان الذاكرة للحق على الدوام .

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴿٦٣﴾ ﴾

وكذلك علمها عند حضرة النبى الأكرم ﷺ ، ولكن احترم رتبة الألوهية بعدم البوح، كما سبق ذكره فى عدم البوح بسر الروح .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولاً ﴿٧٢﴾

حملها الإنسان الذى هو لحم ودم مجبراً على حملها، ورفض الجماد كالسموات والأرض والجبال حملها تخييراً، وهى عين إرادة الحق فى خلقه، فليس فى الإمكان أبدع مما كان.

وهو سبحانه أراد للضعف حمل الأمانة، وأبى للقوة حمل تلك الأمانة، وله سبحانه فى خلقه شؤون، وهو لا يسأل عما يفعل وهو يسألون .

فسبحان من كرم الضعف الآدمى وجعله سيداً فى الوجود وأعلا قدره على من هو أقوى منه شأناً كالملائكة والسموات والأرض والجبال، فكان هو السيد، وغيره مسخر له.

obeikandl.com